IUGJEPS
Vol 28, No2, 2020, pp 223-250

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2019-03-07)، تاريخ قبول النشر (2019-03-27)

تهيئة النبي ﷺ للنبوة قبل الوِلادة - دراسة حديثية تحليلية -

اسم الباحث الأول:1* أ. خالد محمد الزعبي
اسم الباحث الثاني:2 د. عبد ربه أبو اصعيليك

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) طالب دكتوراه حديث في الجامعة الأردنية
[2] اسم الجامعة والبلد(للثاني) أستاذ الحديث النبوي في الجامعة الأردنية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: K_alzoubi@yahoo.com

الملخص:

تكمن أهمية موضوع هذا البحث في ارتباطه الوثيق بسيرة خيّر البشر سيدنا محمد ﷺ، والتي من خلالها نستطيع التعرف على عناية الله تعالى في كيفية إعداده للنبيّ ﷺ، وتهيئته للنبوّة قبل ولادته، من خلال دراسة وتحليل الأحاديث النبوية الشريفة، التي دلّت على طهارة وشرف نَسَبِ النبيّ ﷺ وبيان الأحوال التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، وذكر بعض الأحداث التي سبقت مولده ﷺ، وقد أثبتت الدراسة أن العناية الربانّية بنبيّ هذه الأمة، قد سبقت ولادته ﷺ، مؤذنة بتهيئته للنبوة والرسالة.

كلمات مفتاحية: (عناية ، تهيئة ، للنبوّة ، قبل الولادة ، نَسَب)

The Preparation of Prophet Muhammad (p.b.u.h) for Prophethood before birth - Ahadithi Analytical Study-

Abstract:

The importance of this research's subject lies in its firm association with the biography of most sublime mankind "Prophet Mohammed" through which; we can conceive the divine providence in lying the ground and preparing Prophet Mohammed for prophethood before his birth, study and analyze Hadiths that were an evidence of the purity and honour of Prophet Mohammed's ancestry, identify conditions that were prevalent in Arabian peninsula, address some events that preceded his birth. Furthermore, the research proved that the divine providence to the Prophet of this nation preceded his birth ushering in his preparation for prophecy.

Keywords: (providence, preparation, prophethood, before birth, ancestry).

موضوع البحث:

يتحدث هذا البحث عن كيفية اصطفاء الله تعالى لنبيّه ﷺ، وتهيئته له للنبوّة قبل ولادته ﷺ، من خلال دراسة الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع البحث، وتحليلها، والوقوف على موضع الشاهد منها.

مشكلة البحث: تبرز مشكلة البحث في محاولة بيان كيفية تهيئة الله تعالى للنبيّ ﷺ للنبوّة قبل ولادته ﷺ، من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. كيف كانت تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ من خلال طهارة وشرف نسبه الشريف ﷺ؟
2. هل للأحوال السائدة في الجزيرة العربية أثر في تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ؟
3. كيف كانت تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ من خلال الأحداث التي سبقت ولادته ﷺ؟

حدود البحث:

سيكون حدود بحثي بإذن الله تعالى من حيث التحديد الزماني هي: الفترة التي سبقت ولادة النبيّ ﷺ، أمّا من حيث التحديد الموضوعي: فسيكون من خلال دراسة تهيئة النبيّ ﷺ للنبوة من خلال طهارة وشرف نسبه ﷺ، ومن خلال الأحوال السائدة في الجزيرة العربية، ومن خلال الأحداث التي سبقت ولادة النبيّ ﷺ.

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في النقاط الآتية:

1. تسليط الضوء على حقبة مهمة من سيرة النبيّ ﷺ، وهي ما قبل ولادته ﷺ، وبيان كيفية العناية الربانيّة في تهيئة النبي ﷺ للنبوة، في هذه الحقبة.
2. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسةٍ تظهر كيفية إعداد الله تعالى نبيّنا محمد ﷺ للنبوة قبل ولادته ﷺ.
3. ابراز دور المحدّثين واهتمامهم بسيرة النبيّ ﷺ نقدًا وتمحيصًا وتحليلاً وروايةً.
4. الدفاع عن النبيّ ﷺ وعن صدق رسالته، وبذل الجهد في تبليغها للناس كافة.
5. توجية هذا الجيل من أبناء الأمة الى تعميق الايمان بنبيّها، ليتسنى لهم الدفاع عنه، ونشر سنته، والسير على نهجه، من خلال إعادة دراسة أحداث سيرة النبيّ ﷺ وقراءتها بمنظار الواقع المعاصر، وتوظيف هذه القراءة في إعداد المسلم وتمكينه من حمل أعباء الدعوة.

أهداف البحث:

1. بيان كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ من خلال طهارة وشرف نسبه الشريف ﷺ.
2. الوقوف على كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ من خلال الأحوال السائدة في الجزيرة العربية، وكيفية استغلال تلك الأحوال في تبليغ دعوة الإسلام.
3. توضيح كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل مولده ﷺ من خلال الأحداث التي سبقت ولادته ﷺ.

منهج البحث:

1. المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء الروايات الحديثيّة والحوادث التاريخية، المرتبطة بموضوع البحث.
2. المنهج التحليلي: من خلال تحليل الأحاديث النبوية الشريفة، والوقوف على أقوال الشرّاح، وتحرير موضع الشاهد.

3. المنهج النقدي: من خلال تتبّع الروايات الحديثية والتاريخية، ونقدها ثم الحكم عليها وفق منهج المحدّثين.
4. المنهج التطبيقي: من خلال استعراض الأحاديث ودراستها دراسة حديثية تطبيقية.

منهجي في البحث: ستكون منهجيتي بعون الله تعالى في هذه الدراسة؛ وفق تصنيف المناهج العلميّة الآتية:

1. الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وعزوها إلى أماكن وجودها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
2. سأعتمد في تخريج الأحاديث على الصحيحين أولاً، فإن لم أجد ففي كتب السنن الأربعة، فإن لم أجد ففي باقي الكتب التسعة، فإن لم أجد ففي باقي المصادر الحديثية وكتب السّيرة.
3. الغرض من اعتماد الحديث الصحيح أولاً؛ للتأكيد على صحة الخبر، وايراد الحديث الضعيف في بعض الأحيان؛ لبيان ضعف الرواية والتحذير منها.
4. في حالة رواية حديث ضعيف، أقوم بتخريج الحديث من مضانه دون إطالة، ثم النظر في أقوال علماء الجرح والتعديل المتقدمين في حكمهم على الرواية سندًا ومتنًا، ثم الاستئناس برأي المعاصرين، ثم الحكم على الحديث.
5. الغاية من ذكر الحديث النبوي الشريف هو الاستدلال والاكتفاء بموضع الشاهد منه، وليس مهمتي جمع باقي روايات الموضوع الواحد.
6. عزو الروايات التاريخية إلى مضانها في كتب السيرة، والتركيز على كتب المؤرخين المتقدمين أمثال ابن إسحاق وابن سعد وابن هشام.
7. ضبط الروايات الحديثية ليتسنى قراءتها قراءة سليمة.
8. ذكر دلالة الأحاديث النبوية الشريفة، بعد كل حديث مباشرة.
9. الرجوع إلى أمهات شروح المصادر الحديثية الأصيلة وتوثيقها.
10. بيان معاني المفردات والألفاظ الغريبة وضبط حروفها من كتب غريب الحديث أولاً، فإن لم أجد ففي باقي كتب معاجم اللغة وتوثيق ذلك.
11. عند الاستشهاد بحديث شريف طويل؛ فإنني أكتفي بموضع الشاهد منه، دون ذكر كامل الحديث.
12. الاستشهاد ببعض أشعار العرب الفصيحة، وتوثيقها من مصادرها.
13. ترتيب الأسماء حسب سنة الوفاة.
14. ذكر بعض الفوائد الفقهية والنكات العلميّة لإثراء الموضوع.

<u>الدراسات السابقة :</u>

من خلال اطلاعي على ما تم تأليفه من كتب وأبحاث ورسائل جامعيّة في موضوع هذا البحث، لم أقف – في حدود اطلاعي– على دراسة أفردت هذا الموضوع كتابةً أو بحثاً، ولكن وردت بعض الإشارات في بعض الكتب والدراسات الجامعية التي تناولت جوانب سيرة النبيّ ﷺ والتي منها:

1.دراسة بعنوان: " **العناية الربانية بنبيّ البشرية/ دراسة قرآنية موضوعية**" للباحث احمد جهاد أبو دية –حفظه الله–، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، تمت مناقشتها في الجامعة الإسلامية / غزة، عام 2013، بإشراف الدكتور عبد السلام حمدان اللوح –حفظه الله–.

تحدّث فيها الأخ الباحث عن إبراز دور القرآن الكريم في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن مواقف المشركين والمنافقين وأهل الكتاب وأذاهم للنبيّ ﷺ .

بينما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة قبل الولادة، ثم أن هذه الدراسة هي دراسة حديثيّة تحليّلية ، وليست قرآنية موضوعيّة.

2.دراسة بعنوان: "**بشرية النبيّ ﷺ وطعون المعاصرين في أحاديث الصحيحين**" للباحث أحمد عبد اللطيف أحمد لافي –حفظه الله–، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراة، تمت مناقشتها في الجامعة الأردنية عام 2014، بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور محمّد عيد الصاحب – حفظه الله –.

تحدّث فيها الأخ الباحث عن مفهوم بشريّة النبيّ ﷺ والحدّ الفاصل بين هذه البشرية وبين النبّوة، والكشف عن المواطن التي تصرّف بها النبيّ ﷺ بوصفه بشراً لا نبيّاً، وعلّل الحكمة من هذه البشريّة، واقتصر الباحث في دراسته على رد طعون المعاصرين في أحاديث الصحيحين.

بينما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوة قبل مولده ﷺ، ودراسة الروايات المتعلقة في مراحل التهيئة، سواء كانت هذه الروايات حديثيّة أم تاريخيّة، نقدًا وتحليلاً.

3.بحث بعنوان: " الرعاية والإعداد الإلهي للنبي قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية" للدكتور يحيى معابدة، وهو بحث علمي تم نشره في مجلة (Atif) التركية، تحدث فيه الباحث عن كيفية بناء وتحديد معالم شخصية النبيّ ﷺ، ورعاية الله تعالى له قبل البعثة، وأثر تلك الرعاية في نجاح الدعوة الإسلامية.

بينما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على كيفية تهيئة النبيّ ﷺ للنبوة قبل مولده وليست قبل مبعثه ﷺ، ودراسة الروايات المتعلقة في مراحل التهيئة، سواء كانت هذه الروايات حديثيّة أم تاريخيّة، نقدًا وتحليلاً.

بالإضافة إلى بعض ما تناثر في بطون كتب السيرة النبوية، ودلائل النبوة، والشمائل النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين، كل مبحث يتكون من مطلبين، وكما يأتي:

- **تمهيد.**
- **المبحث الأول: تهيئة النبيّ ﷺ بنسبه الطاهر وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال شرف النسب
  - المطلب الثاني: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال طهارة النسب
- **المبحث الثاني: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال البيئة الاجتماعية وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: التهيئة من خلال الأحوال السائدة في الجزيرة العربية
  - المطلب الثاني: التهيئة من خلال الأحداث التي سبقت ولادة النبيّ ﷺ

تمهيد:

اهتمّ النّاس –لا سيّما المؤرخون منهم– قديمًا وحديثًا بتدوين سِيَر العظماء، تخليدًا لذِكراهم، والسير على منهجهم، ولتكون مواطن اقتداءٍ بهم في عملية الإصلاح، وقد أجمع عقلاء الناس كافة –عربهم وعجمهم– على أن سيّدنا محمد ﷺ هو سيّد العظماء، بل وسيّد الثقلين والخلق أجمعين، وأنّ سيرته العطرة هي أعطر سيرة وأشملها، وما أُعتني بسيرة أحدٍ من البشر على مرّ العصور؛ كما أعتني بسيرة خير البشر ﷺ، وما كان ذلك الإعتناء إلا لأنها تُمثل بكل تفاصيلها ودقائقها منهجًا متكاملاً للحياة، فجاءت سيرة النبيّ ﷺ مَشعلاً يُستضاء به في دايجين الظلمات، ومثالاً يُحتذى به في جميع جوانب الحياة.

تعريف السّيرة لغةً واصطلاحًا:

السيرة لغةً: مِن: سار يسير سيرًا وسِيرة، وهي السّنة والطريقة وَالْحَالة الَّتِي يكون عَلَيْهَا الْإِنْسَان وَغَيره. يقال: فلان سار سِيرة حسَنة؛ أي: سلك طريقةً حسنة. (1)

السيرة اصطلاحًا: تاريخ حياة الإنسان(2). وبيان تفصيل سيرته الذاتية.

السيرة النبويّة الشريفة: من خلال اطلاعي على تعريف السّيرة النبوّية الشّريفة عند المُحدّثين والاصوليّين والفقهاء والمؤرّخين، أستطيع أن أُجمل تعريف السّيرة النبويّة الشّريفة بما يأتي:

هي: **مجموع الأحداث والوقائع والشمائل المتعلقة بالنبيّ ﷺ من قبل الولادة(3) إلى ما بعد الوفاة، مرتبةً ترتيبًا زمنيًا.**

شرح التعريف:

مجموع الأحداث والوقائع: لتشمل جميع ما كان من أحداث ووقائع في سيرة النبيّ ﷺ.

الشمائل: لتشمل جميع الصفات الخِلقيَّة والخُلقيَّة للنبيّ ﷺ.

المتعلقة بالنبيّ ﷺ: لأنها سيرة خاصة بالنبيّ المرسل محمد ﷺ.

من قبل الولادة: لارتباطها بمولد النبيّ ﷺ، من حيث نسبه الشريف، وزواج والديه وغير ذلك من الأحداث، ولتسليط الضوء على حالة العرب قبل مولده، مما يفيدنا في دراسة كيفية تهيئة الله تعالى النبيّ ﷺ للنبوّة، وبيان حاجة البشرية لها.

إلى ما بعد الوفاة: مرورًا بحياة النبي ﷺ، والوقوف على جميع جزئيات حياته ﷺ، للسير على منهجه والالتزام بسنته، للفوز بسعادة الدارين، وبيان منهج أصحابه ﷺ من بعده في كيفية الحفاظ على الإرث النبويّ، لنصل إلى ما وصلوا اليه.

مرتبةً ترتيبًا زمنيًّا: لأن تسلسل الأحداث والوقائع زمنيًّا يعطي فكرةً واضحةً عن دقائق وتفاصيل حياة النبيّ ﷺ، للإستفادة من منهجه ﷺ في كيّفيّة معالجة المواقف، وكيّفيّة الإرتقاء بمجتمعنا وأمّتنا.

تعريف التّهيئة لغةً واصطلاحًا:

تعريف التهيئة لغةً:

التهيئة: مصدر هيَّأَ يُهيّئ، تَهيئةً وتهييئًا، فهو مُهيِّئ، والمفعول مُهيَّأ، وقد تعددت آراء العلماء في معنى لفظ (التهيئة) في لغة العرب إلى عدة أقوال منها:

1. الإِعْدَاد: وتهيأت لِلْأَمْرِ إذا استعددت لَهُ (4)، يقال: هيَّأتِ المرأةُ الطَّعامَ: أيّ أعدَّته، وهيَّأ الجيشَ للقتال: أعدّه (5)، وتأتي التّهيئة أيضًا بمعنى: الإعداد والتكييف لتحقيق غَرَض خَاص. (6)

2. الإصلاح: يُقَال هيَّأَ الأَمرَ تَهْيِئَةً وتَهْيِيئاً: أَصْلحه فَهُوَ مُهَيَّأٌ.(7)

3. التيّسير: وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: **(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)** [الليل: 7] أَيْ: نُهَيِّئُهُ. (8)

تعريف التهيئة اصطلاحًا:

---

(1) انظر: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1/ ص467)، مادة (سار).

(2) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج2/ ص1147)، مادة (س ي ر).

(3) أرى بأنّ فترة ما قبل ولادة النبيّ ﷺ هي جزء من السيرة، لارتباطها الوثيق بالمولد الشريف.

(4) انظر: الأزدي، جمهرة اللغة، (ج1/ ص251)، مادة (هيأ)،

(5) انظر: د. أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ، (ج3/ ص2380)، مادة (ه ي أ).

(6) انظر: المعجم الوسيط، (ج2/ ص1002)، مادة (هيأ)، مصدر سابق.

(7) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (هيّأ)، (ج1/ ص188).

(8) انظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، (ج14/ ص211).

ذكر الإمام بدر الدين العيّني –رحمه الله– (ت 855هـ) في "البناية"، عند شرحه على كتاب "الهداية" للإمام المرغيناني –رحمه الله– (ت 593هـ)، أن التهيئة هي: الإعداد. كما ذكرت ذلك أيضًا الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة.[9]

ومن هنا يتضّح لنا أن المعنى الاصطلاحي ضمن حدود المعنى اللغوي، أيّ: أنّ المقصود بتهيئة النبيّ ﷺ للنبوّة، هو الإعداد الإلهي والتّمهيد المسبق للنبيّ ﷺ ليكون مقدمةً له في تحمّل النبوّة والرسالة قبل مولده ﷺ.

(9) العيني، البناية شرح الهداية، (ج3/ ص387). وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (ج10/ ص170)، مصدر سابق.

المبحث الأول: تهيئة النبيّ ﷺ بنسبه الطاهر

المطلب الأول: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال شرف النسب

اهتمّ العرب قديماً وحديثاً في مسألة الأنساب، وحرصوا على المحافظة على أنسابهم، والافتخار بها، والاعتزاز بالدم العربي لأن يختلط بغيره، فلا عجب أن تجد من بين العرب مَن قادَه اهتمامه إلى معرفة أدق تفاصيل أنساب العرب من قبائل وبطون وأفخاذ، حتى بات من العرب من أطلق عليهم لقب (النَّسَّابَة)[10]، لشدة اهتمامهم وحفظهم للأنساب واشتهارهم بها، وظهر في وقت مبكر ما يسمى بـ (علم الأنساب)[11]، بل ومنهم من تعدى اهتمامه بأنساب الأشخاص إلى اهتمامهم بأنساب الخيول العربية الأصيلة، والإبل الكريمة والمحافظة عليها، وهو مظهر من مظاهر الاعتزاز بالأنساب[12]، وهذا الاهتمام كان سائداً بين عامة الناس.

فإذا ما تعلّق الأمر بنسب شخصٍ ذي مكانةٍ أو رياسةٍ؛ بات الاهتمام واجب من الواجبات وضرورة من الضرورات، فكيف إذا تعلّق الأمر بنسب سيّد الثقلين والبشرية جمعاء بأبي هو وأمي ﷺ؟! وهذا ما سوف أتناوله في هذا المطلب بمشيئة الله تعالى.

نَسَبُه الشريف ﷺ :

هُو سيّد ولد آدم صلوات ربي وسلامه عليهما: أَبُو الْقَاسِمِ، **محمّد بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ**. [13]

ذكر ابن هشام –رحمه الله– نسب النبيّ ﷺ نحو ما ذكره البخاري –رحمه الله– بزيادة بعد عدنان إلى آدم عليه السلام فقال: "حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائى، عن محمّد بن إسحاق المطلبي، بهذا الذي ذكرت من نسب محمّد رسول الله ﷺ".[14]

وأمّا ما كان فوق عدنان فمختلف فيه، قال البغويّ –رحمه الله–: "ولا يصحّ حفظ النسب فوق عدنان"[15]، وقال ابن القيم –رحمه الله–: "وما فوق "عدنان" مختلف فيه"[16].

واتفق العلماء على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، قال ابن كثير –رحمه الله: "لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبيّ الله". [17]

ومن خلال النظر في هذا النسب الشريف للنبيّ ﷺ من جهة آبائه، لنجد أنه ﷺ انحدر من سلالة آباء هُم سادات أقوامهم، كريمة شمائلهم، طيبة أعراقهم، زادهم انحدار النبيّ ﷺ من أصلابهم شرفاً فوق شرفهم، وصدق ابن الروميّ إذ يقول:

وَكم أبٍ قد علا بِابْن ذرا شرفٍ كَمَا علا بِرَسُول الله عدنان[18]

وأما نسبه ﷺ من جهة أمّه فهو يلتقي مع نسبه من أبيه في كلاب بن مرة، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة [19]، وهي يومئذ أرفع نساء قريش نسباً وحسباً[20].

---

(10) النَّسَّابَة: بفتح النون والسين المشددتين، نسبة إلى النَسَب، الماهر في معرفة الأنساب. انظر السمعاني، الأنساب، (ج 13/ ص 79).

(11) علم الأنساب: هو علم تُعرف منه أنساب الناس، والغرض منه: الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (ج1/ ص178).

(12) د. أبو شهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، (ص 86)، بتصرف يسير.

(13) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مبعث النبيّ ﷺ، (ج 5/ ص44).

(14) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، باب ذكر سرد النسب الزكي، (ج 1/ ص17–19). وذكر السمعاني نسب النبيّ ﷺ بروايته عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبيّ ﷺ يذكر نسبه. انظر: السمعاني، الأنساب، (ج1/ ص13)، مصدر سابق.

(15) البغويّ، شرح السنّة، كتاب الفضائل، فضائل سيد الأولين والآخرين...،(ج13/ص193).

(16) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل في نسبه ﷺ، (ج1/ ص70).

(17) ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول ﷺ، (ص87).

(18) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، (ج3/ ص 373).

والمتأمل في نسب النبيّ ﷺ سواء من جهة أبيه أو من جهة أمه؛ ليجد أن النبيّ ﷺ أشرف الناس نسباً، وأرفعهم قدراً، وأكملهم خَلقاً وخُلقاً، وقد امتدح الله تعالى نسب نبيّنا ﷺ في كتابه العزيز بقوله سبحانه: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**). [التوبة: 128]

دلالة الآية الكريمة: على تأصيل نسب النبيّ ﷺ في قبيلة قريش، وأنه من صميم نسبها الشريف، وهنا يقول الإمام القرطبيّ – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية:" "مِنْ أَنْفُسِكُمْ " يقتضي مدحاً لنسب النبيّ ﷺ وأنه من صميم العرب وخالصها، ...، وقرأ عبد الله بن قُسَيْطٍ المكي "مِنْ أَنْفَسِكُمْ" بفتح الفاء – أي: "مِنْ أَنْفَسِكُمْ" [21]– من النَّفَاسَةِ، ورُوِيت عن النبيّ ﷺ وعن فاطمة –رضي الله عنها– أي: جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم".[22]

وهذا الكرم في النسب الشريف للنبيّ ﷺ شهد له القاصي قبل الداني، والبعيد قبل القريب، والمُشرك قبل المسلم، وصدق من قال:

شمائلٌ شهِدَ العدوُّ بفضلها ... والفضلُ ما شهدت به الأعداء[23]

ثمّ إنّ شهادة أبي سفيان على شرف نَسب النبيّ ﷺ – قبل إسلامه– عند إجابته على أسئلة هرقل؛ لَهِيَ خير دليل على ذلك.

روى الشيخان – رحمهما الله – في صحيحيهما، من حديث عبد الله بن عباس ﷺ، "**أنّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ، ...، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، ...، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا،...، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ**[24]، ...".[25]

قلتُ: وسؤال هرقل في بداية الأمر عن نسب النبيّ ﷺ يدّل على ما يأتي:

أولاً: اهتمام العرب بالأنساب عامتهم وخاصتهم.

ثانياً: المكانة الرفيعة التي بلغها النبيّ ﷺ عند العرب، حتى سمعت به ملوك الروم وغيرهم .

ثالثاً: التأكيد على شرف نسب النبيّ ﷺ في قومه، بشهادة أبي سفيان له– ولم يكن يومئذٍ على دينه– بشكل خاص، وشرف نسب الأنبياء والرسل عليهم السلام بشكل عام.

رابعاً: جَزْم هرقل بثبوت علامات نبوة سيدنا محمّد ﷺ، لمعرفته المسبقة بأنساب العرب، وما تقرر عنده في كتب السابقين.

وفي هذا بشارةٌ لنبوّة سيدنا محمّد ﷺ، بعد تقرير شَرَفُ نسبه، كبقيّة إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال ابن بطّال –رحمه الله– في التعقيب على سؤال هرقل:"...، وفيه: أن الرسل لا ترسل إلا من أكرم الأنساب، لأن من شَرُفَ نسبه كان أبعد له من

---

(19) ابن حبيب، أمهات النبيّ ﷺ، (ص17).

(20) الفرق بين النَسَبِ والحَسَبِ: النَسَبَ: هو عدَد الآباءِ والأُمهاتِ، إِلَى حَيْثُ انْتَهى، والحَسَب: هو عدّ مآثر الآباء والأمهات، مثل: الشَّجاعةِ والجُود، وحُسْنِ الخُلُقِ والوَفاءِ ،انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حسب)، (ج1/ ص311)، مصدر سابق.

(21) وقراءة هذا اللفظ بفتح الفاء؛ هي قراءة شاذة، وقراءة الجمهور بالضم. انظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (ج1/ص306). وانظر: الباز، مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، (ص44).

(22) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (ج8/ ص 301) .

(23) العسكري، ديوان المعاني، (ج1/ ص 72).

(24) قال النووي –رحمه الله-: " وأما قوله ابن أبي كبشة فقيل هو رجل من خزاعة كان يعبد الشعرى ولم يوافقه أحد من العرب في عبادتها فشبهوا النبيّ ﷺ به لمخالفته إياهم في دينهم كما خالفهم أبو كبشة، وقيل إن أبا كبشة جد النبيّ ﷺ من قبل أمه، وقيل هو أبوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى السعدي –زوج حليمة السعدية–، قال أبو الحسن الجرجاني التشابه إنما قالوا ابن أبي كبشة عداوة له ﷺ فنسبوه إلى نسب له غير نسبه المشهور، إذ لم يُمكنّهم الطعن في نسبه المعلوم المشهور، وقيل أبو كبشة عم والد حليمة مرضعته ﷺ"، والله تعالى أعلم. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كُتب النبيّ ﷺ إلى هرقل ، (ج12/ ص111)، حديث رقم (1773).

(25) متفق عليه. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، (ج1/ ص8)، حديث رقم (7)، مصدر سابق. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل ، (ج3/ ص1393)، حديث رقم (1773).

الانتحال لغير الحقائق. وقوله: تُبعث في نسب قومها – يعني: أفضله وأشرفه،..."[26]، بل ويكفينا اعتراف النبيّ ﷺ بشرف نسبه، وبيان أصول آبائه وأجداده، وأنه اختاره اصطفاءً من بين تلك الأصلاب.

روى الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إسماعيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**".[27]

دلالة الحديث: أن اصطفاء الله تعالى هذا النسب للنبيّ ﷺ على غيره من الأنساب؛ هو شرف لم يبلغه غيره من أنساب العرب، فهو ﷺ من أشرف القبائل نسباً، وأرفعها قدراً، وأعلاها منزلةً، وهو من أسرة جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل، وفي ذلك يقول الإمام النووي –رحمه الله–: "قوله ﷺ (إن الله اصطفى كنانة) إلى آخره استدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم، ولا غير بني هاشم كفؤ لهم، إلا بني المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد، كما صرّح به في الحديث الصحيح والله أعلم"[28]. بل ومن عناية الله عز وجل بنبيّه ﷺ، أنه هيأ له قبل أن يبعثه جميع أسباب الشرف، والرفعة، وعلوّ المنزلة، ووفّر فيه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى، التي اصطفاه واختاره لها، فقد جعل نسبه في الذروة من قومه، وقومه في الذروة من العرب. [29]

وحتى يكون الرجل شريف قومه وصاحب الصدارة فيها، يقول فيُسمع، ويأمر فيُطاع، لا بد له من أن يكون ذو شرف في النسب، يقول الأستاذ الدكتور محمّد رواس قلعه جي عند تحليله لشخصيّة النبيّ ﷺ: " لقد كان وما زال شرف النسب له المكانة في النفوس؛ لأن ذا النسب الرفيع لا تنكر عليه الصدارة، نبوةً كانت أو مُلكاً، وينكر ذلك على وضيع النسب، فيأنف الكثير من الانضواء تحت لوائه، ولما كان محمّد ﷺ يُعدّ للنبوّة هيّأ الله تعالى له شرف النسب ليكون مساعداً له على التفاف الناس حوله".[30]

ومن هنا يتبيّن لنا أن من إعداد الله تعالى لنبيّه ﷺ وتهيئته للنبوّة، أن اصطفاه من أنْفَس قبائل العرب، وجعل نسبه من أشرف أنسابها وأرفعها مكانةً، ولا أدلّ على ذلك من تكرار النبيّ ﷺ للفظ (الاصطفاء) في كل مرحلة من مراحل خلقه ﷺ ليكون صفوة الخلق، وما أعطاه الله تعالى هذا الامتياز في النسب إلا لأن هذا الأمر ممّا يناسب قومه وعصره، فهو ولد في قوم هم أكثر الناس اهتمامًا بالأنساب، فشريف النسب يجد عند الناس من القَبول في الاستماع اليه واتباع ما يدعو اليه، ما لا يجده وضيع النسب، فرفعة النسب تمنعه من النظر إلى سفاسف الأمور، والاهتمام بمعاليها، فشرف نسبه ﷺ كان بمثابة التهيئة الربانيّة لحمل رسالته، وقَبول دعوته.

ولا يُعني أنه من الواجب على من يقوم بحمل أعباء الدعوة في واقعنا المعاصر حتميّة شرف نسب الداعي، فالدعوة هي حق مكتسب لكل مسلم، والعمل بها واجب على جميع أفراد الأمة كلٌ حسب طاقته، وتتجلى أهمية مكانة المرء بعظمة ما يقوم به.

---

(26) ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ؟ وقول الله عز وجل: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنبيّينَ مِنْ بَعْدِهِ) [النساء: 163]، (ج1/ ص 45–47).

(27) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيّ ﷺ، (ج4/ ص1782)، حديث رقم (2276)، مصدر سابق.

(28) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبيّ ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (ج15/ ص36)، حديث رقم (2276)، مصدر سابق.

(29) أبو ديّة، العناية الربّانيّة بنبيّ البشرية –دراسة قرآنية موضوعية، (ص10).

(30) قلعه جي، دراسات تحليليّة لشخصيّة النبيّ ﷺ ، (ص96).

المطلب الثاني: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال طهارة النسب

تَنبّه العرب قديمًا – رغم أميّتهم – إلى طهارة النسب للإنسان، لما له من كبير أثر في سلوك المرء، وتحديد شخصيته، وتقبّل الناس له، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتراف بأن المولود يكتسب أفكار عائلته وأخلاقها[31]، ورغم تسليمنا بطهارة نسب النبيّ ﷺ وانتقاله من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، – وبشهادة العرب جميعهم– أحببت تسليط الضوء على كيفية تهيئة النبيّ ﷺ وإعداده للنبوة من خلال طهارة نسبه الشريف، وهذا ما سوف أبحثه في هذا المطلب بمشيئة الله تعالى.

إنّ الحديث عن طهارة نسب النبيّ ﷺ مما لا يحتاج إلى دليل، فهو ﷺ المصطفى من بني هاشم أصحاب النسب والشرف والرياسة في قريش، وهم أصحاب الشمائل والأخلاق الفاضلة.

روى الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إسماعيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**".[32]

دلالة الحديث: أن الله تعالى عندما اصطفى سيدّنا محمّد ﷺ من هذا النسب الشريف، واختاره من بين هذه الأصلاب، ما كان ذلك إلا لطهارتها، ومن المعروف بداهةً أن الانتقاء لا يكون إلا لطهارةِ جنسه ونفاسة معدنه، وطِيب أصله، وأن هذا الاصطفاء المبارك في تخيّر الآباء والأجداد ما هو إلا بمثابة إعدادٍ خاصٍ له قبل مولده ﷺ.

ومن طهارة نسبه ﷺ أن الله تعالى صان آبائه وأمهاته من الوقوع في الفاحشة، وما عُرف عن آبائه وأمهاته الكرام أن أُشير إلى أحدهم بالغمز والطعن في طُهر نسبه، فهو خيار من خيار.

أخرج ابن أبي عمر العدني –رحمه الله– في مسنده، والذي نقله عنه ابن حجر –رحمه الله– في المطالب العالية من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن النبيّ ﷺ قال:" **خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ**[33]**، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، فلم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**".[34]

---

(31) اللحّام، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، (ص19–20)، بتصرف.

(32) مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص1782، حديث رقم (2276)، مصدر سابق.

(33) السِفَاح: بكسر السين وفتح الفاء، وهو الزنا، وسميّ الزنا سِفاحًا: لأن الزَّانِيَيْنِ يتسافحان يسفح هَذَا المَاء أَي يصبهُ ويسفح هَذَا أما النُّطْفَة وَأما المَاء الَّذِي يغتسلان بِهِ فكني بذلك عَن الزِّنَا وَجعل لَهُ علما. انظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، (ج1/ ص 207).

(34) أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده، والذي نقله عنه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، (ج17/ ص198)، كتاب السيرة والمغازي، باب أولية النبيّ ﷺ وشرف أصله، حديث (4210).

قلت: وللحديث متابعات وشواهد وطرق كثيرة منها:

– ما أخرجه الطبراني، المعجم الأوسط، (ج5/ ص 80)، حديث (4728). بدون لفظ " لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء". والآجري، الشريعة، كتاب الإيمان...، باب ذكر قول الله عز وجل {وتقلبك في الساجدين} [الشعراء: 219]، (ج3/ ص 1417)، حديث (957)، والرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، باب من قاله على لفظ الشهادة، (ص 470)، وأبو نعيم، دلائل النبوة، باب ذكر فضيلته ﷺ بطيب مولده، وحسبه ونسبه، (ص57)، حديث (14)، جميعهم من طريق ابن أبي عمر العدني به. وأخرجه ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، (ج/ ص 303)، حديث (31641)، عن حاتم بن إسماعيل. وأخرجه البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم، (ج7/ ص308)، حديث (14077)، عن سفيان بن عيينه، كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلاً.

قلت: ومحمد بن جعفر بن محمد بن علي تُكلّم فيه، قال عنه الذهبي: متكلم فيه. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، (ج3، ص500). وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في "التلخيص": "وفي إسناده نظر". انظر: ابن حجر، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، كتاب النهي عن الخطبة على الخطبة، باب نكاح المشركات، (ج3/ ص361)، حديث (1653).

وقد حسّن الحديث الشيخ الألباني –رحمه الله –. راجع الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، باب نكاح الكفار، (ج6/ ص329)، حديث (1914). وراجع الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، حرف الخاء، (ج1/ ص613)، أحاديث (3223،3224،3225).

دلالة الحديث: أنّ من عناية الله تعالى للنبيّ ﷺ؛ أنه انتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المنزهة، أي أنه ما وقع في سلسلة آبائه إلا وطء عن عقد نكاح على طريقة الإسلام، وما قول النبيّ ﷺ (ولم أخرج من سفاح)، بعد قوله: (خرجت من نكاحٍ)، إلا تأكيد على طهارة نسبه ، وسموّ حسبه، ونقاء أصله الشريف ﷺ.(35)

قال ابن سعد –رحمه الله– في طبقاته: "أخبرنا هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ عن أبيه قال: كتبت للنبيّ عليه الصلاة والسلام خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحًا ولا شيئًا مما كان من أمر الجاهلية".(36) والمقصود (بخمسمِائة أم): أي الأمهات والجدّات وجدّات الجدّات لأبيه أو لأمه ﷺ.(37)

وإليه أشار صاحب الهمزية في قوله:

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الأمهات والآباء(38)

وأورد الصالحي في سبل الهدى:

مِنْ عَهْدِ آدَمَ لَمْ يَزَلْ تَحْمِي لَهُ فِي نَسْلِهَا الْأَصْلَابُ وَالْأَرْحَامُ
حَتَّى تَنَقَّلَ فِي نِكَاحٍ طَاهِـــرٍ مَا ضَمَّ مُجْتَمِعَيْنِ فِيهِ حَرَامُ(39)

وفي الوقت الذي سادت فيه الرذيلة، وأصبحت عادةً عند جاهلية الأمس، حفظ الله تعالى تلك النسمة الطاهرة، لتخرج من أصلاب آباءٍ لم تدوّن الفاحشة في سجلات نسبهم، إلى أرحام طاهرة نقيّة، أبت حرّيتها أن تختلط بموروثات الجاهلية العمياء، تلك الموروثات التي جعلت حرائر العرب تستنكر الرذائل، فكيف بأمهات النبيّ ﷺ اللاتي يرتقي بهن نسبهنّ إلى عِلية القوم؟! فإنّ ذلك عنهنّ أبعد.

ومن المعلوم أنّ النبيّ ﷺ أخبر في غير موقفٍ عن طهارة ورفعة نسبه، وسموّ حسبه، معتزًا بأصول آبائه، ومفاخرًا بمكارم شمائلهم من سيادةٍ وكرمٍ وشجاعةٍ وصدقٍ، ولم نجد من يعترض عليه من أعدائه، لآكد علمهم بطهارة نسبه ونسب آبائه فيهم.

---

(35) الأمير، التَّنوير شرح الجامع الصَّغير، حرف الخاء المعجمة، (ج5/ ص 474)، حديث (3885، 3886). بتصرف

(36) ابن سعد، الطبقات الكبرى، باب ذكر أمهات رسول الله عليه الصلاة والسلام، (ج1/ ص 50).

قلت: ورغم أن هذا الأثر يبدو عليه ملامح الضعف، لأن فيه (هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ) لتجريح العلماء له في رواية الحديث، إلا أن هذا الأثر يمكن قبوله منه لأنه من النّسّابة المشار إليهم بالبنان، مما يدل على علوّ كعبه في الأنساب، وهذا الأثر في الأنساب لا في رواية الحديث، فممن شهد له بالإمامة في الأنساب:

– قال فيه ابن سعد –رحمه الله– في الطبقات: "ومن النّسابين: هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي صاحب كتاب (النسب الكبير)". انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، المقدمة، (ص30)، مصدر سابق.

– وقال فيه البغدادي –رحمه الله– في تاريخه: " إنّما هُوَ صاحب نسب وسمر". انظر: البغدادي، تاريخ بغداد، (ج16/ ص 68).

– وقال فيه ابن أبي حاتم الرازي –رحمه الله– في الجرح والتعديل: " كان صاحب أنساب وسمر". انظر: الرازي، الجَرح والتعديل، (ج9/ ص69).

– وقال فيه الذهبي في الميزان: "هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر الاخباري النسابة العلامة، قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– : إنما كان صاحب سمر ونسب،...، وقيل: إن تصانيفه أزيد من مائة وخمسين مصنفا". انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، (ج4/ ص304)، مصدر سابق.

(37) الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، الباب الثاني في طهارة أصله وشرف مجده ﷺ غير ما تقدم، (ج1/ ص 238).

(38) البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي، مصريّ النشأة، مغربيّ الأصل، ولد سنة 608هـ وتوفي سنة 696هـ. انظر: معجم الشعراء العرب، موقع الموسوعة الشعرية.

(39) الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، (ج1/ ص 237)، مصدر سابق.

روى الشيخان –رحمهما الله– في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: يَا أَبَا عُمَارَةَ أَتَوَلَّيْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ عَلَى النبيّ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّ، وَلَكِنْ عَجِلَ سَرَعَانُ القَوْمِ، فَرَشَقَتْهُمْ هَوَازِنُ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ آخِذٌ بِرَأْسِ بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، يَقُولُ: "**أَنَا النبيّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ** ".[40]

روى الترمذي –رحمه الله– في سننه من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فكأنه سمع شيئا، فقام النبيّ ﷺ على المنبر فقال:"**مَنْ أَنَا؟ فَقَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْكَ السَّلَامُ. قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا وَخَيْرِهِمْ نَسَبًا»**".[41]

دلالة الأحاديث: إخبار النبيّ ﷺ وعلى مسامع المشركين،أنه الصّادق الذي ما عُهِدَ عليه الكذب في جاهليةٍ أو إسلامٍ، وأنه ابن عبد المطلب سيّد قومه، المعروف أصل حسبه ونسبه، ولو كان في طهارة أصله شئ –حاشاه وكلا– لوجدنا من أعدائه من تمسك بهذا القول أو اعترض عليه سواء أكان ذلك قديمًا أو حديثًا.

فائدة: وقد ذهب الإجماع عند العلماء إلى إقامة حدِّ القتل على من عاب على نسب النبيّ ﷺ، أو انتقص من مقامه الشريف، فقد ذكر ابن قنفذ –رحمه الله– ما نصّه: "وأجمع العلماء من أهل الفتوى أن من عاب النبيّ ﷺ وألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو نسب له شيئًا على طريق الازدراء والتقصير لشأنه فحكمه حكم الساب القتل، وإن تاب نفعته التوبة فيما بينه وبين الله ولا يرتفع عنه القتل ويكون قتله حدًا لا كفرًا وما كان دون ذلك، فالعقوبة موكلة إلى الحاكم وحكم سائر الأنبياء حكم نبيّنا ﷺ وسبّ آل بيته وأصحابه وأزواجه وذرياته ﷺ وتنقيصهم حرام تجب فيه العقوبة الشديدة ويحد قاذفهم".[42]

والمتتبّع لتراجم الأبواب في المصادر الحديثية؛ ليجد أن كثيرًا من العلماء السابقين –رحمهم الله–الذين دوّنوا هذه المصادر؛ قد عنونوا بطهارة نسب النبيّ ﷺ أومولده، مما يدل على أن هذه الروايات وان كانت ضعيفة؛ فإن لها أصلاً يُستند إليه، مع العلم أن هؤلاء الجهابذة كانوا يختارون تراجم أبوابهم بعناية فائقة، تدل على غزارة علمهم، ودقة انتقائهم، وممن صرّح بذلك –على سبيل المثال لا الحصر–:

1. الخركوشي، (ت 407هـ)، في كتابه (شرف المصطفى)، حيث قال: (جامع أبواب نسبه الشّريف ﷺ وما جاء في طهارة أصله وكرامة محتده ﷺ).[43]
2. ابن عساكر،(ت 571هـ)، في كتابه (تاريخ دمشق)، حيث قال: (باب ذكر طهارة مولده وطيب أصله وكرم محتده).
3. الماوردي، (ت 450 هـ)، في كتابه (أعلام النبوّة)، حيث قال: (في مبادئ مولده وطهارة مولد الرسول ﷺ).
4. القتيبي، (ت 923هـ)، في كتابه (المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة)، حيث قال: (طهارة نسبه ﷺ). [44]
5. الصالحي، (ت 942 هـ)، في كتابه (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) ، حيث قال:(الباب الثاني في طهارة أصله وشرف مجده ﷺ غير ما تقدم).

(40) متفق عليه. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}، إِلَى قَوْلِهِ: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 25-27]، (ج5/ ص153)، حديث (4315)، مصدر سابق. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، (ج3/ ص1400)، حديث (1776)، مصدر سابق.

(41) أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، (ج5/ ص543)، حديث (3532)، وقال: هذا حديث حسن.

(42) ابن قنفذ، وسيلة الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة والسلام، (ص146).

(43) الخركوشي، شرف المصطفى ﷺ، (ج2/ ص5).

(44) القتيبي، المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّديّة، (ج1/ ص56).

6. الطهطاوي، (ت 1290 هـ)، في كتابه (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)، حيث قال: (طهارة نسبه ﷺ). (45)

ومن خلال استعراض نسب النبيّ ﷺ – كما في المطلب السابق– نجد أن الطهارة قد رافقت جميع مراحل انتقاله بين الأصلاب والأرحام، ينتقل من طُهرٍ إلى طُهرٍ، وفي هذه يقول الماورديّ –رحمه الله–: " وأما طهارة مولده فإن الله تعالى استخلص رسوله من أطيب المناكح(46) وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة،...، وقد كان نور النبوة في آبائه ظاهرًا،...، وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا،...، ليس في آبائه خامل مسترذل ولا مغمور مستذل، كلهم سادة قادة، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة حتى تحرّجوا من نكاح المحارم وإن استباحه غيرهم من العرب،...، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة".(47)

من هنا يتبيّن لنا أن نسب النبيّ ﷺ قد التقى فيه الحسنيان، –طهارته وشرفه–، وليس من قبيل المصادفة أن يجتمع الحسنيان للنبيّ ﷺ، بل كان ذلك تهيئةً للرسالة الإلهية، وإعداد النبيّ ﷺ لنبوته، ليكون هذا النسب بعدها حجةً على من امتنع عن الانقياد له، والتسليم بدعوته ﷺ، قال الماوردي –رحمه الله–: "ولما كان أنبياء الله صفوة عباده وخير خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من أكرم العناصر، وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظًا لنسبهم من قدحٍ ولمنصبهم من جرحٍ، لتكون النفوس لهم أوطأ والقلوب لهم أصفى فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع". (48)

---

(45) الطهطاوي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، (ص20).

(46) المناكح: جمع نكاح، وهو الزواج.

(47) الماوردي ، أعلام النبوّة، الباب الثامن عشر في مبادىء نسبه وطهارة مولده ﷺ، (ص201– 203).

(48) المصدر السابق، (ص185).

المبحث الثاني: تهيئة النبيّ ﷺ من خلال البيئة الاجتماعية

المطلب الأول: التهيئة من خلال الأحوال السائدة في الجزيرة العربية

توطئة:

كانت البشرية –قبل مبعث النبيّ ﷺ– تعيش مرحلة من أحطّ مراحل التاريخ البشريّ في جميع شؤونها: (الدينيّة والأخلاقيّة والاقتصاديّة والسيّاسيّة والاجتماعيّة)، وتعاني من فوضى ضاربة لا حدّ لها، بعد أن هيمن المنهج الجاهلي المُتّسم بالهوى على العقائد والأفكار والتصورات والنفوس، وأصبح الجهل والهوى والانحلال والفجور، والتجبّر والتعسّف من أبرز ملامح المنهج الجاهليّ، وفي ظل غياب تأثير الديانات السماوية، وما خالجها من تحريف وتغيير وتبديل، نتيجة دخول الأفكار البشرية، ما جعلها تفقد أهميتها – باعتبارها رسالة الله تعالى إلى خلقه–، انشغل أهلها بالصراعات العقديّة، والتي بسببها نشبت الحروب الطاحنة بينهم، ومن بقي منهم –لم يُحرّف ولم يُبدّل– قليل نادر. [49]

روى الإمام مسلم –رحمه الله– في صحيحه من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " **أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ**[50] **عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**[51] **عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ**[52] **عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،...**".[53]

دلالة الحديث: الإشارة إلى انحراف البشريّة في المجال الدينيّ، قبل بعثة النبيّ ﷺ، بعد أن كانوا على فطرة التوحيد، فآل بهم الحال إلى الشرك، إلّا بقيّة كانوا على دين الخليل إبراهيم ﷺ – الحنفيّة السمحة–، فوجود أُولي البقية من المصلحين دليل على انتصارهم في جولة من تلك المداولات بين الحق والباطل، كما قال الله تعالى: **(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)**.[آل عمران: ١٤٠]، وبلغ الفساد في الأخلاق عند البعض، فأدمنوا شرب الخمور، والمفاخرة في القمار، وانتشار الربا والزنا[54]، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وقتل الأولاد خشية الإنفاق، ووأد البنات لمزيد غيرةٍ، أو لحوق عارٍ، أو لعاهة أصابتها، فكان البعض يكفلها، والبعض الآخر يفتديها، فكان ممن يكفل في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل.

روى الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنهما–، قالت: " **رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إبراهيم غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا**".[55]

---

(49) انظر: العودة، الغرباء الأولون(ص57)، بتصرف يسير. وانظر: الصلّابي، السيرة النبويّة، عرض وقائع وتحليل أحداث، (ص15–18)، بتصرف يسير.

(50) نَحَلْتُهُ: من النَّحْل: وهي العطية والهبة ابتداءً من غير عِوض ولا استحقاق. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (نحل)، (ج5/ ص29).

(51) فَاجْتَالَتْهُمْ: من الجول، يقال جال واجتال: إذا ذهب وجاء، و(اجتالتهم الشياطين) أي: استخفتهم فجالوا معهم في الضلال. انظر: المصدر السابق، مادة (جول)، (ج1/ ص317).

(52) فَمَقَتَهُمْ: المقت في الأصل: هو أشد البغض. انظر: المصدر السابق، مادة (مقت)، (ج4/ ص346).

(53) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (ج4/ ص2197)، حديث (2865)، مصدر سابق.

(54) ومما ينبغي أن يُعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الرايات من البغايا، ويندر أن يكون في الحرائر، انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، (ج1/ ص94)، مصدر سابق.

(55) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، (ج5/ ص41)، حديث رقم (3828) ، مصدر سابق.

وممن كان يفتدي البنت بشرائها من أبيها إذا أراد وأدها، صَعْصَعة بن ناجية[56]، حيث ورد عنه أنه افتدى ستًا وتسعين موءودة، وُروي عنه أنه افتدى ثلاثمائةٍ وستون موءودة [57].

ورغم ما آلت إليه جزيرة العرب من فسادٍ مُطبق في جميع المجالات، إلّا أنّه من المنصف أن نذكر بعضًا من الفضائل التي تمتّع بها عرب الجزيرة العربية، وأرى أنّ تلك الفضائل فاقت مثالبهم، مما كان لها بالغ الأثر في تهيئة الأجواء لاستقبال رسالة السماء، ومن أهمّ هذه الفضائل ما يأتي:

(1) **صفاء القلوب:** التي لم تدخلها الفلسفات اليونانية، والأساطير الرومانية، والخرافات الهندية، تلك القلوب التي لم يُكتب على ألواحها سوى ما خطته يد الجهل والبداوة، وكأن قلوبهم كانت تُعدّ لأمرٍ عظيم الشأن، وتُهيّأ لاستقبال رسالة السماء.[58]

(2) **السجايا الحميدة:** فقد كانوا أصحاب ذكاءٍ وفطنةٍ وصدقٍ وأمانةٍ وشجاعةٍ ومروءةٍ ونجدةٍ وفروسيةٍ وعزة نفسٍ وكرمٍ وسخاءٍ، يأبون الضيّم والذلّ، والصّبر على المكاره، وقوّة الاحتمال والرضا باليسير، وقوة في البدن وعظمة في النفس، يجيرون من استجارهم، وربّما ضحّوا بالنّفس والولد والمال في سبيل ذلك، وغيرها من الفضائل التي يضيق المكان بذكرها، والتي كانت رصيدًا كبيرًا لها في نفوس باقي العرب، فكل هذه الفضائل والأخلاق الحميدة كانت لأُمةٍ بِكْرٍ في تلك الجزيرة، في مجتمع اختاره الله تعالى لأن يكون مهدًا لحمل أمانته ومنطلقًا لتبليغ رسالته.[59]

ولو تأملّنا الناحية الدينيّة عند العرب –وخاصة بلاد الحجاز–؛ لوجدنا أن العرب قد اعتنق بعضهم النصرانيّة والبعض الآخر اليهودية، والأغلبية عكفوا على عبادة الأوثان والأصنام –وهي أبلغ مظاهر الشرك الجاهلي–، بعد أن أدخلها عمرو بن لحيّ الخزاعي[60] إلى جزيرة العرب، وحملهم على عبادتها بعد أن غيّر ملة إبراهيم الخليل عليه السلام.[61]

روى الشيخان –رحمهما الله تعالى– في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: "**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ**[62] **فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**[63]".[64]

---

(56) صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، جدّ فرزدق بن غالب بن صعصعة بن ناجية، روى عنه طفيل بن عمرو وابنه عقّال. وروى عنه الحسن، وكان صعصعة هذا من أشراف بنى تميم ووجوه بنى مجاشع، كان في الجاهلية يفتدي الموءودات من بني تميم فامتدح الفرزدق – في قوله: وجدّي الذي منع الوائدات ... وأحيى الوئيد فلم توأد، انظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ج2/ ص718).

(57) انظر: الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (ج3/ ص45–46).

(58) الندوي، السيرة النبوية، (ص87)، بتصرف.

(59) الصلّابي، السيرة النبويّة، عرض وقائع وتحليل أحداث، (ص 33–37)، بتصرف، مصدر سابق.

(60) عمرو بن لحيّى بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي من قحطان، وهو أول من غير دِين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان،كنيته أبو ثمامة، وهو جدّ "خزاعة" عند كثير من النسابين، ورئيسها عند بعضهم، وخلاصة ما قيل في خبره: أنه كان قد تولى حجابة "البيت الحرام" بمكة، وزار بلاد الشام ودخل أرض "موآب" في وادي الأردن، بالبلقاء، فوجد أهلها يعبدون "الأصنام"، فأعجب بها وأخذ عددًا منها، فنصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب، انظر: الزركلي، الأعلام، (ج5/ ص84).

(61) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام أو الجاهلية، (ج16/ ص92).

(62) قُصْبَهُ: القصبُ بالضم: المعي، وجمعه: أقصاب. وقيل: القصب: اسم للأمعاء كلها. وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (قصب)، (ج4/ ص67)، مصدر سابق.

(63) السَّوَائِبَ: جمع سائبة، وأصلها من تسييب الدّواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت. انظر: المصدر السابق، مادة (سيب)، (ج2/ ص431).

(64) متفق عليه. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، (ج4/ ص184)، مصدر سابق. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ج4/ ص2191)، حديث (2856) ، مصدر سابق.

ومن فرط محبتهم لهذه الأصنام –باعتبارها أنّها تمثل أربابًا لهم–، فقد تفنّنوا في تقديرها وإجلالها، من التقديس لها تارةً، والاستقسام بها أخرى، ورغم زعمهم أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، ولا تعدو أكثر من واسطة بينهم وبين الله تعالى، إلا أن هذه الآلهة المزعومة قد هيمنت على عقولهم وقلوبهم.

روى الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه، عن أبي رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ، قال: " **كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً**(65) **مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ** ".(66)

دلالة الحديث: يدلّ الحديث الشريف على مدى التخبّط الوجداني، واتساع رقعة الفراغ الروحي عند العرب في الجاهلية، فما أن وقعت أعينهم على حجرٍ واستحسنوا هيئته ومظهره حتى سارعوا إليه ليعبدوه، فإذا راقَ لهم حجر آخر، طرحوا الإله الأول، وأخذوا بعبادة الجديد وهكذا، وهذا البحث المرهق من التبديل يُنبئُ عن قابليّة المجتمع العربي بتقبّل دينٍ جديدٍ يوافق فطرته السليمة، ويُحاكي واقعه الظمآن.

روى الشيخان –رحمهما الله تعالى– في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–: قال: "**دَخَلَ النبيّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: "جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**".(67)

دلالة الحديث: على أنّ الكعبة المشرّفة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام لعبادة الله تعالى، كان حولها ثلاثمائةٍ وستون صنمًا، كُسرت جميعها يوم فتح مكة، بإشارة من النبيّ ﷺ.

ولما كانت جزيرة العرب مَعقل الشّرك والوثنيّة، ومكانًا لتلاقي جميع الأديان فيها، ومهدًا لولادة العقائد الفاسدة، وميدانًا للتناحر والتباغض، ومقبرةً لكل المصلحين؛ وفي ظلّ مَلَل النفوس من تلك الآله التي لا تغني ولا تُسمن من جوع، واشتداد ظلام تلك الجاهلية المُطبقة، وفساد كثير من الأخلاق، وتطلّع النفوس إلى بشائر بزوغ فجرٍ جديد، كانت الحاجة الماسّة إلى رسالة سماويّة تجمع أشتاتهم، وتوحّد صفّهم، وتعيد نفوسهم إلى سليم فطرتها –الحنفيّة السمحة–، وتخرجهم من ضلال التصوّر والاعتقاد، وضلال العادات والسلوك، وضلال الغاية والاتجاه، قال تعالى: **(وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** [الجمعة:2]، كانت تباشير السماء تلوح في الأفق، لتأذن بولادة تلك الرحمة المهداة صلوات ربي وسلامه عليه.

يقول الدكتور البوطي –رحمه الله–: "وفي الوقت الذي كانت فيه فارس والرومان يتصدّران العالم إذ ذاك، وتتقاسمان العالم المتمدّن، ومن ورائهما اليونان والهند، فكانت فارس حقلاً لوساوس ديْنيّة فلسفيّة متصارعة مختلفة. وكانت الرومان تسيّطر عليها الروح الاستعمارية. وأمّا اليونان فقد كانت غارقة في هوس الخرافات والأساطير الكلامية. وأما الهند فقد كانت أحط أدوارها ديانةً وخُلقًا واجتماعًا، وأمّا الجزيرة العربية فقد كانت هادئة، بعيدة بل منعزلة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها، فإذا تصورنا حالة العرب في جزيرتهم قبل الإسلام وحالة الأمم المختلفة الأخرى المحيطة بهم، سهل علينا أن نستجلي الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تتشرف الجزيرة العربية دون غيرها بمولده وبعثته ﷺ".(68)

---

(65) جُثْوَةً: الجُثَا: جَمْع جُثْوَة بالضَّم، وهو الشيء المجموع، وقد تكسر الجيم وتفتح، ويجمع الجميع: جثا. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (جثا)، (ج1/ ص239)، مصدر سابق.

(66) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، (ج5/ ص171)، حديث رقم (4376)، مصدر سابق.

(67) متفق عليه. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركّز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح؟، (ج5/ ص148)، حديث رقم (4287)، مصدر سابق. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، (ج3/ ص1408)، حديث (1781)، مصدر سابق.

(68) البوطي، فقه السيرة النبوية، (ص30–32)، بتصرف يسير.

وما سر اختيار الجزيرةِ العربية إلا تهيئة لأن تكون مهدًا لنشأة رسالة الإسلام، وموطنًا لولادة نبيّه ﷺ، وقد أشار النبيّ ﷺ إلى عموم هذا الفساد لجميع الأجناس، وفي جميع المجالات بلا استثناء، إلّا بعض أهل الإصلاح الذين أبَوا سياسة التحريف والتبديل، ونافحوا عن فطرتهم الحنيفيّة ضد كل عبادة تخالف سجيّتهم التي خلقهم الله عليها، ومن هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة الإيادي.

ومن الخصائص التي امتازت بها الجزيرة العربية؛ وجود بيت الله الحرام فيها، وقد حباه الله تعالى من المميزات ما لم يُعطها لمكان غيره في الأرض، فهو أول بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض، وجعله الله مباركًا وهدى للعالمين، وفيه آيات بيّنات مقام إبراهيم عليه السلام، وهو المكان الآمن لكل خائف، قال سبحانه: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا).** [آل عمران: ٩٦ – ٩٧]

ومن خصائصها أيضًا أنها دعوة إبراهيم عليه السلام، عندما دعا ربّه فقال: **(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [البقرة: ١٢٩]، فكانت الاستجابة هي بعثة محمّد خاتم النبيّين ﷺ بعد قرون، ومن ثمّ كانت الجزيرة العربيّة مهد النبّوات وموطن الرسالات السماويّة، فقد بعث سيدنا هود عليه السلام في قوم عاد، وكان موطنها الأحقاف، وكذلك صالح عليه السلام نبي ثمود، وكانوا عرباً يسكنون الحِجْر، الذي بين الحجاز وتبوك، وغيرهم من الأنبياء والرسل –عليهم السلام– الذين بعثوا في الجزيرة العربية. [69]

ومن الخصائص التي ميّزت الجزيرة العربية وحدة اللغة، التي كانت ولا تزال أداة تفاهمٍ والتقاءٍ لجميع أبناء هذه الجزيرة، حضرهم وبدوهم، القحطانيّ منهم والعدنانيّ، وهي اللغة العربيّة على اختلاف لهجاتها وفروقها الإقليميّة التي تقتضيها طبيعة اللغات وفلسفتها، وطبيعة الأقاليم والأجواء، وطبيعة الانعزال والانطواء، فاللغات تختلف في لهجاتها بمسافات، قد تطول وقد تقصر، وكانت هذه الوحدة اللغويّة التي امتازت بها هذه الجزيرة من أهم أسباب التهيئة للدعوة الإسلاميّة، وسرعة انتشار الإسلام فيها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

ومما ميّز الجزيرة العربية موقعها المتوسط بين قارات العالم[70]، وأنها مركز الحضارات، حيث ممر القوافل التجارية، فتحمل من بلد ما يستطرف وينتج فيه إلى بلد يفتقر إليه، فكانت في خير موقع لتكون مركزاً لدعوة إنسانيّة عالميّة، ولا نغفل على أنها الأرض المباركة التي قدّر الله عز وجل أن تكون حرم الإسلام، ومَعلمه الأول، وداره الأولى، وأن الشيطان قد يئس أن يعبده المسلمون فيها. كل هذه الخصائص والمميزات السابقة الذكر[71] وغيرها؛ هيأت الجزيرة العربية لأن تكون حاضنةً لخاتم الرسالات السماويّة، ومهدًا لمولد خيّر البشريّة صلوات ربي وسلامه عليه.

روى الإمام مسلم –رحمه الله – في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–، قال: سمعت النبيّ ﷺ، يقول: **"إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ[72] أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ".**[73]

---

(69) من الأنبياء الذين بعثوا في جزيرة العرب: (آدم – إسماعيل – شعيب) عليهم الصلاة والسلام.

(70) انظر: وزيري، إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية، من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا 2011م، وخلاصة البحث هو: أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة، ويظهر ذلك من خلال توسطها لأربعة دوائر تمر بحدود اليابسة لقارات العالم السبع وكذلك المراكز الجغرافية لقارات العالم الجديد وقد تأكد الباحث من أن مكة المكرمة هي الموقع الوحيد على الكرة الأرضية، والذي يمكن إن يحقق تلك القياسات والنتائج، مما يؤكد على أن لمكة المكرمة موقعا فريدا ومتميزا لا ينافسها في ذلك موقع أو مدينة أخرى.

(71) راجع: المرصفي، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، (ج2/ ص341–386)، بتصرف.

(72) أَيِسَ: على وزن فعل بِكَسْر الْعين وَقَالَ ابْن السّكيت أَيِست مِنْهُ يئيس إياسًا أَي قنطت لُغَة فِي يئست مِنْهُ أيأس يأسًا والإياس انْقِطَاع الطمع. انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الايمان، (ج1/ ص)90، مصدر سابق.

دلالة الحديث: على أن الله تعالى قد اختص بحكمته أهل الجزيرة العربية دون غيرهم من الناس، وهيأهم لأن يكون منهم حملةً لرسالته، بعد أن صرف عنهم عبادة الأصنام، وأنهم لن يعودوا لعبادتها أبدًا، قال الهروي في المرقاة: "ومعنى الحديث: أيس من أن يعود أحد من المؤمنين إلى عبادة الصنم، ويرتدّ إلى شِركه في جزيرة العرب، ولا يرد على ذلك ارتداد أصحاب مسيلمة، ومانعي الزكاة، وغيرهم ممن ارتدوا بعد النبيّ ﷺ، لأنهم لم يعبدوا الصنم".(74)

وإذا كانت البشريّة قد خُلقت لعبادة الله تعالى، بدليل قول الله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات: ٥٦]، وكانت علّة الخلق معرفة الله تعالى فعبادته، واستخلاف الإنسان في الأرض وعمارتها، أليس من الواجب بيان أوامره ونواهيه لتعرف كيف تعبد ربها؟ ولما كانت العقول البشرية بطبيعتها يعتريها النقص والقصور والهوى والمصلحة، والاختلاف والتناقض، بل والعجز عن إدراك ما يغيب عنها من وقائع وعلوم لم تتعرف عليها وما يغيب من مكنونات الأشخاص؛ فهي أعجز عن إدراك الخالق ومراده وأوامره ونواهيه.

وحتى تذعن البشريّة لهذه الأوامر والنواهي؛ كان لا بد من وساطة بين الخالق وخلقه، مهمتها تبليغ رسالة ربّها، فكانت رسل الله تعالى عليهم السلام، اصطفاهم سبحانه ليكونوا خير سفراء الله تعالى إلى خلقه.

ومن هنا اقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفي من البشر أفرادًا ذوى طبيعة خاصة، فيُعدّهم إعدادًا خاصًا للتكيّف مع طبيعة الاتصال بالملائكة؛ حتى تتنزل هذه الملائكة عليهم بأحكام الله تعالى وشرائعه فكان ذلك الإعداد الإلهي، والتهيئة الربانيّة، بانتقال النبوّة من بني إسرائيل إلى العرب؛ ليولد نبيّ الرحمة محمّد ﷺ من العرب، وفي جزيرة العرب، ومن بطون قريش تحديدًا، وفي مكة –حرسها الله–، لتكون نواة التبشير برسالة السماء إلى بقاع الأرض، وما قول الله تعالى: (**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) [الأنعام: 124]، إلاّ تهيئة وإعداد لنبيّه محمّد ﷺ زمانًا ومكانًا، لحمل رسالة الإسلام وتبليغ الدعوة الى البشريّة جمعاء.

لذلك يجب على من يقوم بحمل أعمل الدعوة في واقعنا المعاصر أن يستفيد من جميع الظروف المحيطة حوله، وتوظيفها في خدمة تبليغ دين الله تعالى.

(73) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا، (ج4/ ص2166)، حديث (2812)، مصدر سابق.

(74) الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الايمان، باب في الوسوسة، (ج1/ ص142)، حديث رقم (72).

المطلب الثاني: التهيئة من خلال الأحداث التي سبقت ولادة النبيّ ﷺ

من المعلوم بداهةً أنّ الأحداث العظيمة غالباً ما يسبقها من الإشارات ما يؤذِن بقرب حدوثها، وعلامات تدل على اقتراب وقوعها، وأعتقد أنه لم يطرق البشريّة حدث أعظم من ميلاد الحبيب محمّد ﷺ، الذي كان مولده ميلاد أمة سعدت بميلادها الأمم، وما هذه الإشارات والعلامات التي سبقت مولده ﷺ؛ إلاّ تهيئةً للبشريّة، واستعدادًا لاستقبال الرحمة المهداة، قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)** [الأنبياء: ١٠٧]، وسأتطرق بمشيئة الله تعالى في هذا المطلب إلى بعض الأحداث التي سبقت ولادة النبيّ ﷺ، والتي كانت بمثابة الإعداد المسبق لنبيّ البشرية ﷺ:

أولاً: وفاة والده ﷺ.[75]

تُوفي والد النبيّ ﷺ –عبد الله بن عبد المطلب– بعد مرضٍ ألمّ به عند أخواله من بني النجار في يثرب، وكان آنذاك جنينًا في بطن أمه ﷺ [76]، قال ابن سعد –رحمه الله– في الطبقات: "خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا، فمرّوا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابه، فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عديّ بن النجّار وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، فوجده قد توفي، ودفن في دار النابغة، قال الواقدي: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب".[77]

روى الصنعاني –رحمه الله– من طريق مَعمر عن الزهري قال: " ...، **ثمّ بَعَثَ عَبْدُ المُطّلِبْ عَبْد اللهِ بنْ عَبْد المُطَّلَب يمتَار**[78] **لَه تَمْرًا مِن يَثْرب فَتُوفِّي عَبْد الله بِها، وَولدت آمِنَة رَسُول الله ﷺ**،..."[79]

وبعد أن كانت آمنة تنتظر بعلها لتخبره بأن جنينًا في أحشائها يوشك أن تقرّ به أعينهما، جاء القدر ليحسم هذه الأمنيات بوفاة الزوج المنتظر، فأمست الزوج المحسودة أيّمًا [80]، لِيُولد النبيّ ﷺ بعدها يتيم الأب، ولم يتسنّ لذلك الجنين رؤية والده، وفي ذلك يقول ابن كثير –رحمه الله–: " وهذا أبلغ اليُتم وأعلى مراتبه" [81]، لأن يُتمه ﷺ كان قبل ولادته، فكان فقده لأبيه وهو جنين لم يره، أبلغ من فقده فيما لو رآه.

روى الإمام مسلم –رحمه الله– في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "...، قال ابن شهاب: وكان من شأن أم أيمن أم أسامة بن زيد أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، **فَلَمّا وَلَدَتْ آمِنّة رَسُول الله ﷺ بَعْدَ مَا تُوفّيَ أَبُوه،** فكانت أم أيمن تحضنه حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها، ...". [82]

دلالة الحديث: على أن النبيّ ﷺ قد توفي والده عبد الله وهو جنين في بطن أمّه، رغم اختلاف بعض العلماء في تحديد زمن وفاة والده، فولد ﷺ يتيمًا لا أب له، يقول الدكتور يحيى معابدة: " اليُتم في ذاته محنة، لكن الله أراد أن تتحقق في شخصية النبيﷺ

(75) لم ترد رواية صحيحة في حادثة وفاته، إذ كل ما ورد عنها ضعيف ضعفًا شديدًا أو مرسل ضعيف. انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (ج1/ ص95).

(76) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (ج1/ ص134)، مصدر سابق.

(77) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، باب ذكر أمهات رسول الله عليه الصلاة والسلام، (ج1/ ص 99)، مصدر سابق.

(78) يَمْتَار: أصلها مير، والميرة: جلب الطعام للبيع، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مير)، (ج5/ ص188)، مصدر سابق.

(79) الصنعاني، المصنّف، كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، ...، (ج5/ ص317)، حديث (9718). والحديث سنده صحيح إلى الزهري لكن الخبر مرسل وهو أقوى ما ورد في وفاة عبد الله والد النبيّ ﷺ. انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (ج1/ ص95)، مصدر سابق.

(80) انظر: الغزالي، فقه السيرة، (ص60)، بتصرف يسير.

(81) ابن كثير، السيرة النبوية، (ج1/ ص206).

(82) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم ...، (ج3/ ص1391)، حديث (1771)، مصدر سابق.

منحة تضيف عاملاً من عوامل تشكيل شخصية النبيﷺ، ولا يمكن أن تتحقق إلا إن كان يتيمًا، لأن اليتيم وإن توفرت له أسباب الرعاية يبقى يتيمًا، إذ يعرف في ضوء العلاقات الاجتماعية أن اليتيم في صغره له ما يميزه عن غيره من الناس من فقد لوالديه أو أحدهما ويجد ذلك في نفسه، وإن أثر ذلك اليُتم واضح في شخصية النبي من رقة ولين وعطف على اليتيم وإعانة للفقير والمسكين من الناس".[83]

وقد سطّر القرآن الكريم ذلك اليُتم؛ في قوله تعالى:(**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**) [الضحى: ٦]، وما هذا الإيواء الإلهي بعد اليُتم إلا مزيد من العناية الإلهية، والتهيئة الربانيّة ليكون نبي هذه الأمة، وليحمل رسالة هذا الدّين.

ثانيًا: حادثة الفيل.

عظّمت العرب قديمًا بيت الله الحرام، وتزامنت قدسيّة الكعبة في نفوسهم عبر التاريخ، منذ أن رفع إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– قواعدها، وأيقنت نفوسهم أن للبيت ربًا يحميه ويمنعه، مع ما بذلوه من حمايةٍ للبيت ودفاعٍ عنه، وتعظيم حرمته والطواف فيه، والقصد إليه بالحج من كل فج عميق. ورغم تلك المكانة التي ارتضاها ربنا جل وعلا لبيته الحرام؛ ورغم تلك الحرمة التي التصقت به مذ نشأته؛ إلا أنّ هناك من الناس من لا يراعي حرمة لدين، ولا يرقب في مؤمن إلًّا ولا ذِمّة.

وأمّا ما كان من أمر أبرهة الأشرم الذي حاول غزو مكة وهدم الكعبة، فقد وثّق القرآن الكريم والسنّة الشّريفة هذه الحادثة، قال تعالى:(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(5)**)[الفيل:١– ٥]. كما أنّ السنّة النبويّة الشريفه أشارت إلى تلك الحادثة:

روى الشيخان –رحمهما الله – في صحيحيهما من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: قال: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي**،..."[84]. وفي ذلك إشارة إلى قصة أصحاب الفيل.

دلالة الحديث: أنّ الله تعالى أوحى لنبيّه ﷺ بحادثة الفيل، وأنه سبحانه حبس أبرهة وجنوده عن دخول مكة، وعصمها من الخراب وهدم الكعبة المشرّفة –زادها الله تشريفًا وتعظيمًا ومهابةً وبرًّا–، لكي لا يكون لأهل الشرك فضل في حماية بيته الحرام، ولتلفت هذه الحادثة؛ أنظار العالم إلى شرف بيت الله الحرام الذي اختاره لعبادته.

وقد أورد ابن اسحاق في سيرته قصة الفيل مطولةً يضيق المكان بذكرها[85]، ولكن خلاصة الحادثة كما أوردها ابن حجر –رحمه الله– في الفتح هي: "أن أبرهة الحبشي لما غلب على اليمن –وكان نصرانيًا– بنى كنيسة وألزم الناس بالحج إليها، فعمد بعض العرب فاستغفل الحَجَبة وتغوط فهرب، فغضب أبرهة وعزم على تخريب الكعبة، فتجهز في جيش كثيف واستصحب معه فيلاً عظيمًا –يقال له محمود– فلما قرب من مكة خرج إليه عبد المطلب فأعظمه – وكان جميل الهيئة– فطلب منه أن يردّ عليه إبلاً له نهبت، فاستقصر همته وقال: لقد ظننت أنك لا تسألني إلا في الأمر الذي جئت فيه، فقال –أي عبد المطلب–: إن لهذا البيت ربًا سيحميه، فأعاد إليه إبله، وتقدّم أبرهة بجيوشه فقدّموا الفيل فبرك وعجزوا فيه، وأرسل الله عليهم طيرًا مع كل واحد ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فألقوها عليهم، فلم يبق منهم أحد إلا أصيب ".[86]

(83) معابده، د. يحيى. الرعاية والإعداد الإلهي للنبي قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية، (ص102).

(84) متفق عليه.انظر: البخاري،صحيح البخاري، كتاب في اللقطة،باب كيف تعرف لقطة مكة؟، (ج3/ ص125)، حديث رقم (2434)، مصدر سابق. ومسلم، صحيح مسلم،كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها ...، (ج2/ ص988)، حديث (1355)، مصدر سابق.

(85) راجع: ابن اسحاق، سيرة ابن إسحاق = كتاب السير والمغازي، باب حديث الفيل، (ج1/ ص61–65).

(86) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، (ج12/ ص207).

ولما أراد الله تعالى بحكمته أن يبزغ نور الهدى، وتسطع شمس الهداية، آذنت شواهد النبوة بالظهور، لقرب ولادة خير البريّة ﷺ، فكانت حادثة الفيل مواكبةً لقرب مولده ﷺ، قال الماوردي –رحمه الله–: "آيات الملِك باهرة، وشواهد النبوة قاهرة، تشهد مباديها بالعواقب، فلا يلتبس فيها كذب بصدق ولا منتحل بمحقّ، وبحسب قوّتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها، ولما دنا مولد رسول الله ﷺ تعاطرت آيات نبوّته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأنًا وأظهرها برهانًا وأشهرها عيانًا وبيانًا أصحاب الفيل،...، إلى أن قال: وآية الرسول من قصة الفيل: أنه كان في زمانه حمْلا في بطن أمه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه"[87]، وجاءت حادثة الفيل لتسلط الأضواء على قريش، فسمعت بقصتها العرب والعجم فأعظمت أمرها، وزرعت مهابتها في قلوب أعدائها، ليكون فيهم من يصطفيه الله تعالى لحمل رسالة هذا الدّين، قال ابن كثير –رحمه الله–: " هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة،...،كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال" [88]، وقال ابن تيمية –رحمه الله–: " ومن آيات محمّد ﷺ ودلائل نبوته التي في القرآن قصة الفيل،...". [89]

ثم إنّ العرب استعظمت هذا الحادث وكان جديرًا بذلك، فأرّخوا به، وقالوا: وقع هذا في عام الفيل، وولد فلان في عام الفيل، ووقع هذا بعد عام الفيل كذا من السّنين، وقد صادف عام الفيل سنة (570م).[90]

ثالثًا: نذْر الجدّ عبد المطلب.

لمّا بدت بئر زمزم على يد عبد المطلب نازعته قريش عليها، وقالوا له: أشركنا فيها، فقال: ما أنا بفاعل، هذا أمر خُصّصت به، ولقي عبد المطلب منهم من التعسف والتعنت ما لقي، لقلة من يمنعه من ولده آنذاك، حتى قال بعضهم له: «يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذٌّ[91]، لا ولد لك!!»، فحزّ ذلك في نفس عبد المطلب فنذر لله سبحانه: لئن ولد له عشرة بنين، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرنّ أحدهم عند الكعبة!!، ولم يتركوه حتى خرجوا به للمحاكمة إلى كاهنة بني سعد، ولم يرجعوا حتى أراهم الله في الطريق ما دلهم على تخصيص عبد المطلب بزمزم. [92]

وقد شاء الله تعالى أن يُرزق عبد المطلب بعشرة من البنين، فلما توافى بنوه العشرة وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوا له.[93]

روى الطبري من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: " **أنَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ نَذَرَ إنْ تَوَافَى لَهُ عَشَرَةُ رَهطٍ، أنْ ينحرَ أَحَدَهُمْ، فَلَمَّا تَوَافَى لهُ عَشَرَةً ، أقْرَعَ بينَهَم أيُّهُم يَنْحَر؟ فَطَارَت القُرعة عَلَى عبدُ الله بن عبدِ المُطّلب، وكانَ أحَبّ النّاس إلى عبدِ المُطّلب، فقالَ عبدُ المُطّلب: اللّهم هُو أو مِائة من الإبل، ثم أقرعَ بيّنه وبينَ الإبِل، فطارتْ القرعة– على المِائة من الإبِل**".[94]

(87) الماوردي، أعلام النبوّة، الباب التاسع عشر في آيات مولده وظهور بركته ﷺ، (ص205)، مصدر سابق.

(88) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الفيل، (ج8/ ص458)، مصدر سابق.

(89) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (ج6/ ص55).

(90) الندوي، السيرة النبوية،(ص130)، مصدر سابق.

(91) الفَذّ: الواحِد، وقَدْ فَذَّ الرجُل عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا شَذَّ عَنْهُمْ وبَقِي فَرْداً. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (فَذَذَ)، (ج3/ ص422)، مصدر سابق.

(92) للإطلاع على قصة حفر بئر زمزم بتفاصيلها راجع: ابن اسحاق، سيرة ابن إسحاق = كتاب السير والمغازي، (ص23–28)، مصدر سابق. وانظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، (ص41–42). وانظر: أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، (ج1/ ص160)، مصدر سابق، بتصرف يسير.

(93) وأبناء عبد المطلب العشرة هم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله. انظر: ابن اسحاق، سيرة ابن إسحاق = كتاب السير والمغازي، (ص32)، مصدر سابق.

دلالة الحديث: أن الله تعالى قد صرف عن عبد المطلب نحر ابنه عبد الله، كما صرف الله تعالى سيدنا إبراهيم عن ذبح ولده إسماعيل –عليهما السلام، **(وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)** [الصافات: ١٠٧]، ثم يَنحر عبد المطلب مائة من الإبل فداءً لعبد الله، لتسلم تلك النسمة الطاهرة، فتخرج من صلب عبد الله، بعد زواجه من آمنة بنت وهب. وما نَذْرُ عبد المطلب وفداء عبد الله؛ إلا تقدير إلهي ومقدمات لولادة النبيّ ﷺ، وتهيئة لذلك المولود الغائب، لحمل رسالة السماء القادمة، وإعدادًا له لحمل أعباء الدعوة إلى الله تعالى.

رابعًا: تسمية أبيه وأمّه.

لا غرابة في تسمية والد النبيّ ﷺ بـ (عبد الله)، فقد كانت العرب في الجاهلية تعرف اسم (الله) تعالى، وكانوا يعترفون بوجود الله تعالى، مع وجود شريك له وهي (الأصنام)، وما عبادتهم للأصنام مع اعترافهم بوجود الله تعالى إلا لتقربهم إلى الله زلفى –حسب زعمهم–، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)**. [الزمر: ٣]

وكانت التسمية بـ (عبد الله) شائعة عند قريش وغيرهم من العرب قبل الإسلام، فمن الصحابة الذين ولدوا قبل الإسلام وكانوا يتسمون بهذا الاسم –على سبيل المثال–:

1. عبد الله بن أبي أميّة، بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسم أبي أمية حذيفة، وهو أخو أم سلمة زوج النبيّ ﷺ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ،وهو لم يسلم إلا قبيل فتح مكة.[95]
2. عبد الله بن مسعود الهذلي، أبو عبد الرحمن، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن كبار العلماء من الصحابة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها.[96]

وأمّا رجال قريش الذين كانوا يُعرفون بهذا الاسم (عبد الله) قبل الإسلام فهم كثيرون، منهم:

1. عبد الله بن عمر بن مخزوم .[97]
2. عبد الله بن الحارث بن زهرة .[98]

كما ويوجد هذا الاسم في قبائل غير قريش كانت قبل مجيء الإسلام، ومنها[99]:

1. بنو عبد الله بن شعبة (وقيل بن شعثة).
2. بنو عبد الله بن الدول بن حنيفة.

---

(94) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، (ج2/ ص239–240)، مصدر سابق، وابن اسحاق، كتاب السير والمغازي (ص32)، مصدر سابق، وابن هشام، السيرة النبوية (ج1/ ص151)، مصدر سابق، والبيهقي، دلائل النبوة (ج1/ ص98)، مصدر سابق، والفاكهي، أخبار مكة، (ج2/ ص11) حديث رقم (1061) ، مصدر سابق، وغيرها من مصادر السيرة.

وقال العمري:"رواية الطبري إسنادها صحيح ورجالها ثقات، ورواها ابن أبي شيبة، بإسناد آخر صحيح عن ابن عباس ﷺ".

انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، (ج3/ ص104)، حديث رقم (12514)، مصدر سابق.

ثم قال: "وقد أخرج الإمام مالك في الموطأ شطرًا متممًا للرواية يتعلق بفتوى ابن عباس ﷺ في نذر مشابه بإسناد آخر عن ابن عباس ﷺ مما يدعم رواية الطبري". انظر: مالك، الموطأ، (ج2/ ص476)، حديث رقم (7). انظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (ج1/ ص93)، مصدر سابق.

(95) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج3/ ص176).

(96) انظر: مسلم، الكنى والأسماء، (ج1/ ص511).

(97) انظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، (ج10/ ص169).

(98) انظر: الزبيري، نسب قريش، (ص274).

(99) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، (ص231، 273، 311).

ومن هنا نجد أن النبيّ ﷺ قد ولد من أبوين اسم كل واحد منهما له من الدلالات ما يُنبئ عن حكمة الله تعالى في اختيار هذه الأسماء لهم، وليس من قبيل الصدفة ذلك، بل هي التهيئة والإعداد الربّاني لنبيّ الرحمة –صلوات ربي وسلامه عليه–، يقول محمّد فتح الله كولن: " جاء – أيّ سيدنا محمّد ﷺ– من أب اسمه (عبد الله)، وأم اسمها (آمنة)، وليس هذا تصادفًا، بل تقدير إلهي؛ فأمّ يحمل اسمها معنى الأمن والأمانة، وأب يحمل اسمه معنى العبودية لله تعالى، تهيئة ربانيّة، وإعداد إلهيّ، لينشأ الأمين قبل الرسالة في جو من معاني العبودية".[100]

والله تعالى أعلم، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

(100) كولن، النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية، (ج1/ ص31).

الخاتمة

أولا": أهم النتائج: وبعد أن منّ الله تعالى عليّ بإعداد هذا البحث، يمكننا أن نجمل نتائج البحث في النقاط الآتية:

1. أن العناية الربانّية بنبيّ هذه الأمة، قد سبقت ولادته ﷺ، مؤذنة بتهيئته للنبوة والرسالة.
2. اهتمام العرب بالأنساب ومعرفة تفاصيلها؛ كان له أكبر الأثر في إثبات شرف نسب النبيّ ﷺ.
3. من إعداد الله تعالى لنبيّه ﷺ وتهيئته للنبوّة، اصطفاؤه من أنْفَس قبائل العرب، ونسبه من أشرف.
4. أن شريف النسب يجد عند الناس من القَبول في الاستماع اليه، واتباع ما يدعو اليه، ما لا يجده وضيع النسب، فرفعة النسب تمنعه من النظر إلى سفاسف الأمور، والاهتمام بمعاليها.
5. أن طهارة النسب للإنسان، لها أكبر الأثر في سلوك المرء، وتحديد شخصيته، وتقبّل الناس له.
6. أن نسب النبيّ ﷺ قد التقى فيه الحسنيان، –طهارته وشرفه–، وليس من قبيل المصادفة أن يجتمع الحسنيان للنبيّ ﷺ، بل كان ذلك تهيئةً للرسالة الإلهية، وإعداد النبيّ ﷺ للنبوة، ليكون هذا النسب بعدها حجةً على من امتنع عن اتباعه.
7. من إعداد الله تعالى لنبيّه ﷺ وتهيئته للنبوة؛ أن هيّأ له الزمان والمكان في جزيرة العرب، لما حباها الله تعالى من خصائص ومميزات، فانتقلت النبوّة من بني إسرائيل إلى العرب؛ ليولد نبيّ الرحمة محمّد ﷺ من العرب، وفي جزيرة العرب، ومن بطون قريش تحديدًا، وفي مكة –حرسها الله–.
8. أنّ الأحداث العظيمة غالباً ما يسبقها من الإشارات ما يؤذِن بقرب حدوثها، وعلامات تدل على اقتراب وقوعها، وما هذه الإشارات والعلامات التي سبقت مولده ﷺ؛ إلاّ تهيئة للبشريّة، واستعداد لاستقبال الرحمة المهداة.
9. أن النبيّ ﷺ قد بلغ أعلى مراتب اليُتم، بفقد أبيه وهو جنين، وما هذا الإيواء الإلهي بعد اليُتم إلا مزيد من العناية الإلهية، والتهيئة الربانيّة ليكون نبي هذه الأمة، وقد كان لليُتم أثره الواضح في صقل شخصية النبيّ ﷺ.
10. أن النبيّ ﷺ قد ولد من أبوين اسم كل واحد منهما له من الدلالات ما يُنبئ عن حكمة الله تعالى في اختيار هذه الأسماء لهم، وليس من قبيل الصدفة ذلك، فأمّ يحمل اسمها معنى الأمن والأمانة، وأب يحمل اسمه معنى العبودية لله تعالى، تهيئة ربانيّة، وإعداد إلهيّ، لينشأ الأمين قبل الرسالة في جو من معاني العبودية.
11. تضافرت مظاهر الإعداد الربّاني للنبيّ ﷺ قبل الولادة في تكوين شخصية النبيّ ﷺ، مما مكّنه القيام بأعباء الدعوة.
12. على من يقوم بحمل أعباء الدعوة في واقعنا المعاصر استغلال جميع الظروف المحيطة، حيث تتجلى أهمية مكانة المرء بعظمة ما يقوم به.

ثانيًا: أهم التوصيات:

1. ضرورة العناية بميراث النبيّ ﷺ من الأحاديث النبوية الشريفة، والسيرة النبوية، جمعًا ونقدًا وتحقيقًا وتحليلاً وحفظًا.
2. توجيه هذا الجيل من أبناء الأمة إلى تعميق الإيمان بنبيّها، ليتسنى لهم الدفاع عنه، ونشر سنته، والسير على نهجه، من خلال إعادة دراسة أحداث سيرة النبيّ ﷺ وقراءتها بمنظار الواقع المعاصر، وتوظيف هذه القراءة في إعداد المسلم وتمكينه من حمل أعباء الدعوة.
3. إبراز الجوانب المشرقة في سيرة النبيّ ﷺ، ومحاولة ترجمتها إلى لغات العالم.
4. الدفاع عن سنة النبيّ ﷺ وسيرته العطرة، وبذل الجهد في تبليغها للناس كافة، من خلال عقد المؤتمرات والندوات العلمية.
5. دعم جميع البرامج الإعلامية والتربوية والتي من شأنها إبراز دور السنّة النبويّة في الوقوف على قضايا الأمة ومعالجتها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري. (1994م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير، مجد الدين الشيباني الجزري.(1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى. (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية.

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي. (1999م). *الشريعة*. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. ط2. الرياض: دار الوطن.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. (1987م). *جمهرة اللغة*. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق. (1978م). *سيرة ابن إسحاق = كتاب السير والمغازي*.. تحقيق: سهيل زكار. ط1. بيروت: دار الفكر.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. (1986م). *دلائل النبوة*. تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس. ط2. بيروت: دار النفائس.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (1985م). *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. تحقيق: زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (1985م). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. (د. ط). بيروت: المكتب الإسلامي.

الألوسي، أبو المعالي محمود شكري. (د.ت). *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*. تحقيق: محمد بهجة الأثريّ. ط2. (د.م). دار الكتب المصرية.

الأمير، محمد بن إسماعيل. (2011م). *التَّنوير شرح الجامع الصَّغير*. تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. ط1. الرياض: مكتبة دار السلام.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د.م). دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف. (2003م). *شرح صحيح البخارى لابن بطال*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. (2002م). *تاريخ بغداد*. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

البغويّ، أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي. (1403هـ). *شرح السنّة*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. ط2. دمشق: المكتب الإسلامي.

البلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر. (1996م). *جمل من أنساب الأشراف*. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. ط1. بيروت: دار الفكر.

البوطي، د. محمد سعيد رمضان. (2009). *فقه السيرة النبوية*. ط30. دمشق: دار الفكر.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي. (2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1999م). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: علي بن حسن وآخرون. ط2. السعودية: دار العاصمة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. (1999م). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*. (د.ط). (د.م). وزارة الأوقاف– لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (1941م). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. (د.ط). بغداد: مكتبة المثنى.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي. (1416ه). *أمهات النبي ﷺ*. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط1. (د.م) دار ابن حزم.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. (1995م). *التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير*. تحقيق: حسن بن عباس بن قطب. ط1. مصر: مؤسسة قرطبة.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. (1379ه). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. (1419ه). *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية*. تحقيق: رسائل علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود. ط1. السعودية: دار العاصمة، دار الغيث.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري. (1983م). *جمهرة أنساب العرب*. تحقيق: لجنة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخركوشي، أبو سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري. (1424ه). *شرف المصطفى ﷺ*. ط1. مكة: دار البشائر.

أبو ديّة، احمد جهاد. (2013م). *العناية الربّانيّة بنبيّ البشرية –دراسة قرآنية موضوعية–*. (م.ط). غزة: الجامعة الإسلامية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله. (1963م). *ميزان الاعتدال*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار المعرفة.

الرازي، أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم. (1952م). *الجَرح والتعديل*. ط1. الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن. (1404ه). *المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي*. تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب. ط3. بيروت: دار الفكر.

ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس. (2002م). *ديوان ابن الرومي*. شرح احمد حسن بسج. ط 3. بيروت: دار الكتب العلمية.

الزبيري، مصعب بن عبد الله. (د.ت). *نسب قريش*. تحقيق: ليفي بروفنسال. ط3. القاهرة: دار المعارف.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002م). *الأعلام*. ط5، بيروت: دار العلم للملايين.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي.(1986م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار صادر.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد المروزي. (1382ه). *الأنساب*. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرون. ط1. الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

أبو شهبه، د. محمد بن محمد. (1427ه). *السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة*. ط8. دمشق: دار القلم.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي. (1409ه). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

الصالحي، محمد بن يوسف الشامي. (1993م). *سبل الهدى والرشاد. في سيرة خير العباد. وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الصلاّبي، د.علي بن محمد. (2012م). *السّيرة النبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث*. ط4. مصر: دار ابن الجوزي.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام. (1403هـ). *المصنّف*. ط2. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. الهند: المجلس العلمي.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (د.ت). *المعجم الأوسط*. (د.ط). تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم. مصر: دار الحرمين.

الطهطاوي، رفاعة رافع بن بدوي. (1419هـ). *نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز*. ط1. مصر: دار الذخائر.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (د.ت). *ديوان المعاني*. بيروت: دار الجيل.

عمر، د. أحمد مختار وآخرون. (2008م). معجم *اللغة العربية المعاصرة*. ط1. (د.م). عالم الكتب.

العمري، د. أكرم ضياء. (1994م). *السِّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة محاولَة لتَطبيق قواعد المُحدِّثين في نقد روايات السِّيرة النَّبويَّة*. ط6. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العينتابي. (2000م). *البناية شرح الهداية*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد العينتابي. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغزالي، محمد السقا. (1976م). *فقه السيرة*. ط7. بيروت: دار الكتب الحديثة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (1397هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: د. عبد الله الجبوري. ط1. بغداد: مطبعة العاني.

العودة، د. سلمان بن فهد. (1989م). *الغرباء الأولون*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي.

القتيبي، أبو العباس أحمد بن محمد. (د.ت). *المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة*. (د.ط). مصر: المكتبة التوفيقية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني. ط2. مصر: دار الكتب المصرية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله. (1992م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل.

قلعه جي، الدكتور محمد رواس. (1988م). *دراسات تحليليّة لشخصيّة النبيّ ﷺ* . ط1. (د.م). دار النفائس.

ابن قنفذ، أحمد بن حسين. (1984م). *وسيلة الإسلام بالنبيّ عليه الصلاة والسلام*. تحقيق: سليمان العيد المحامي. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر شمس الدين. (1415هـ). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ط 27. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1976م) *السّيرة النبويّة*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1403هـ). *الفصول في سيرة الرسول ﷺ*. تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو. ط3. دمشق: مؤسسة علوم القرآن.

كولن، محمد فتح الله. (1999م). *النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

اللحام، د. حنان. (2001م). *هديّ السّيرة النبويّة في التغيير الاجتماعي*. (د.ط). دمشق: دار الفكر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (1409هـ). *أعلام النبوّة*. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

المباركفوري، صفي الرحمن بن عبد الله. (د.ت). *الرحيق المختوم*. ط1. بيروت: دار الهلال.

المدني، مالك بن أنس. (1985م). *الموطأ*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المرصفي، د. سعد. (2009م). *الجامع الصحيح للسيرة النبوية*. ط1. الكويت: مكتبة ابن كثير.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن النيسابوري. (1984م). *الكنى والأسماء*. تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري. ط1. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن النيسابوري. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفى، إبراهيم وآخرون. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.م). دار الدعوة.

معابده، د. يحيى. (2017). *الرعاية والإعداد الإلهي للنبي قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية*. بحث منشور في مجلة (Atif) التركية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

الموسوعة الفقهية الكويتية. (1427هت). ط2. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي. *السيرة النبوية*. ط12. 1م. تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري. دار ابن كثير – دمشق. 2004م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهروي، علي بن سلطان محمد. (**2002م**). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط1. بيروت: دار الفكر.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام. (1998م). *السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: سعيد محمد اللّحام. ط3. بيروت: دار الفكر.

وزيري، أ.د.م يحيى حسن. (2011م). *إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية*. (د.ط). تركيا: المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.